



خطبة صلاة الجمعة 14/6/2013 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

## (اقتصاد الأسرة في الأزمات - 2 -)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستعديه ونستترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفته وخليله، خير نبي اجتبا، هدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

أمّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الِاِقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ**» [رواه الطبراني والبيهقي].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ**» [رواه أحمد والطبراني].

عنوان خطبة اليوم:

## (اقتصاد الأسرة في الأزمات - 2 -)

أفرزت الأزمة التي نعيش -والتي نسأل الله كشفها بلطفه- مشكلةً اقتصاديةً في كثيرٍ من البيوت: فهذه أسرةٌ خرجت من مدينتها وفقدت جميع أصولها الثابتة.. وتلك أُخرجت من دارها، لكن الزوج لا زال ينزل إلى عمله.. وثالثة بقيت في دارها وفقد الزوج عمله، أو جزءاً منه... وهكذا.. أُرخت الشدّة بظلالها المائيّة على الجميع.

وبات توفير النَّفَقَاتِ الشَّهْرِيَّةِ الضَّرُورِيَّةِ لبعض الأسر تحدياً مشوباً بالتَّوتر والقلق، الأمر الذي أثر على الرِّوابط العائلية، فالأب الغاضب من قلة ذات اليد، والأمُّ المتألِّمة من فقدِ الضَّروريات، والأبناء الذين لا يجدون ما يكفيهم، كلُّ هؤلاء تتردى حالتهم النَّفسية وتفيض أسيء على علاقاتهم الأسريَّة فتزيد الشَّدَّة والأزمة.

لذلك جاءت هذه الخطبة (اقتصاد الأسرة في الأزمات) ساعيةً للتَّخفيف من وطأة الأزمة، مرشدةً إلى أفضل الطُّرق لاحتواء الأزمة الماليَّة داخل المنزل. وفيها نقاطٌ ستُعين على مواجهة الأزمة الماليَّة داخل الأسرة، وتخفِّف من وطأتها وشدَّتها. عرَّضت الخطبة الماضية لنقاطٍ ثلاثٍ هي:

- التفكير بواقعيَّة، دون تهويل ولا تهوين.
  - تعاون أفراد الأسرة في مواجهة الأزمة وعدم الاستسلام لها.
  - تجنُّب المحاسبة الماليَّة الشَّديدة بين الزَّوجين.
- وتعرض خطبة اليوم لثلاثٍ باقياتٍ:
- النِّقطة الأولى: التَّحرِّي عن أسباب سعة الرِّزق: كحُسن الخلق، وإتقان العمل، وبذل الإحسان للآخرين، وتقوى الله تعالى.
- فمهما استطعت في هذه الشَّدَّة أن تُحسِّن خُلُقك مع النَّاس، وأن تبذل المعروف لهم، وأن تثقن عملك، وتتقي ربَّك فافعل؛ لأنَّك تستمطر بذلك الأرزاق من خالق الأرض والأفلاك.
- لأنَّنا نقرأ حديث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم: «حُسْنُ الْخُلُقِ نَمَاءٌ، وَسُوءُ الْخُلُقِ شُومٌ» [رواه أحمد]، وهذا في حُسن الخلق وأثره في سعة الرِّزق.
- ونقرأ قوله صَلَّى الله عليه وسلَّم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ، وَيُوسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ مَيْتَةُ السُّوءِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَلْيَصِلْ رَحْمَهُ» [رواه أحمد].
- وعند البخاري ومسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَبْسُطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يَنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ»، وفي روايةٍ لأحمد: «فَلْيَبِرَّ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحْمَهُ»، وهذا في الإحسان للآخرين وأثره في سعة الرِّزق، وأولى النَّاس بالإحسان منك أرحامك.

ونحفظ قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

[الطلاق: 2-3]، وهذا من أثر التَّقوى في سعة الرِّزق.

وجاء في الحديث: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالدَّنْبِ يُصِيبُهُ» [رواه ابن ماجه وأحمد].  
أُيْهِهَا الْإِخْوَةُ:

في الآية السادسة من سورة هود: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:6]، أداة الاستثناء ﴿إِلَّا﴾ إذا سُبِقَتْ بنفي تُفِيدُ الحَصْرَ، والمراد -والله أعلم- طمأننة الخلق بأنه ما دامت آجالهم مكتوبةً فأرزاقهم مكفولة، قال ابن كثير: (أخبر تعالى أنه متكفلٌ بأرزاق المخلوقات، من سائر دواب الأرض، صغيرها وكبيرها، بحريّها وبرّيّها).  
قِيلَ لبعضهم: مَنْ أَيْنَ تَأْكُلُ؟ قَالَ: الَّذِي خَلَقَ الرَّحَى يَأْتِيهَا بِالطَّحِينِ، وَالَّذِي شَدَقَ الْأَشْدَاقَ هُوَ خَالِقُ الْأَرْزَاقِ.

وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي "تَوَادِرِ الْأُصُولِ" بِإِسْنَادِهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: لَمَّا هَاجَرَ الْأَشْعَرِيُّونَ أَرْمَلُوا مِنَ الزَّادِ، فَأَرْسَلُوا رَجُلًا مِنْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَهُ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود:6].

فَقَالَ الرَّجُلُ: مَا الْأَشْعَرِيُّونَ بِأَهْوَنَ الدَّوَابِّ عَلَى اللَّهِ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَبْشِرُوا أَتَاكُمْ الْعَوْتُ، وَلَا يَظُنُّونَ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَعَدَهُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَتَاهُمْ رَجُلَانِ يَحْمِلَانِ قِصْعَةً بَيْنَهُمَا مَمْلُوءَةٌ حُبْرًا وَلَحْمًا فَأَكَلُوا مِنْهَا مَا شَاؤُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَوْ أَنَا رَدَدْنَا هَذَا الطَّعَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَقْضِيَ بِهِ حَاجَتُهُ، فَقَالُوا لِلرَّجُلَيْنِ: اذْهَبَا بِهَذَا الطَّعَامِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّا قَدْ قَضَيْنَا مِنْهُ حَاجَتَنَا، ثُمَّ إِتَاهُمُ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا طَعَامًا أَكْثَرَ وَلَا أَطْيَبَ مِنْ طَعَامِ أَرْسَلْتَ بِهِ.

قَالَ: «مَا أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ طَعَامًا...» فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ أَرْسَلُوا صَاحِبَهُمْ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ مَا صَنَعَ، وَمَا قَالَ لَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَلِكَ شَيْءٌ رَزَقَكُمْوَهُ اللَّهُ».

فِيهَا الْإِخْوَةُ:

بما أنَّ الرِّزْقَ من عند الله، فتعالوا نطلب سعة الرِّزْقِ في الأزمة وبعدها منه، بامتنال أوامره واجتناب نواهيه.

#### - النقطة الثانية: استبعاد الحلول السَّلبية من دائرة الحلول:

يجب على الزَّوجين أن يستبعدا الحلول السَّلبية لمشكلتهما الماليَّة المنزليَّة من دائرة الحلول؛ لأنَّ الحلَّ السَّليبي يزيد الأمر سوءاً والشَّدَّة تعقيداً.

- ومن الحلول السَّلبية: السُّبل غير المشروعة في الكسب؛ كطلب الرِّشوة أو الاختلاس، أو السرقة، أو التزوير، أو القيام بعملٍ حرامٍ خبيثٍ، أو عملٍ فيه مساسٌ بالدين أو بالعرض أو بالوطن.. ونحو ذلك، مهما كانت الضُّغوط المعيشيَّة؛ لأنَّ هذا ممَّا يَمَحَقُ البركة في الأرزاق، ويزيد في المشكلة ويُخرج منها مشكلاتٍ أخرى، إضافةً إلى أنَّه لا يعالجها.

- ومن الحلول السَّلبية: الاقتراض، إلا لضرورةٍ معتبرةٍ شرعاً؛ لأنَّ تراكم الدُّيون يزيد أعباء الأسرة، خاصَّةً عندما يكون الدين ربوياً.

- ومن الحلول السَّلبية: التَّسرب الدَّراسي للأبناء لتشغيلهم؛ ويمكن الجمع بين التَّعلُّم والعمل عند الحاجة، هذا وإنَّ من أسوأ الطُّرق التي يُستخدم فيها الأولاد في الأزمت: دفعهم إلى ممارسة التَّسول الذي يقضي على طفولتهم وينسف مستقبلهم وطموحهم، ويدرِّبهم على الدُّل ومدِّ الأيدي للنَّاس.

- ومن الحلول السَّلبية: طلاق الرَّجل زوجته، أو طلب الرَّوْجة الطَّلَاق من زوجها؛ وذلك لأنَّ الطَّلَاق يكسر المرأة من جهةٍ ويُفقد الرَّوْج المُعين المُناصر من جهةٍ أخرى، ومن العَجَب أن تعلموا أنَّ دمشق وريفها تشهدان في هذه الأزمة ارتفاعاً في حالات الطَّلَاق، وتسجِّلان مائة حالة طلاقٍ في اليوم الواحد كما ذَكَرَ المحامي العام الأوَّل في دمشق قبل أيَّام.

ولعلَّ أنبل مواقف المرأة وأكرم مواقف الرَّجل تظهر عند الشَّدائد والمِحَن والأزمت، عندما يقف كلُّ منهما إلى جانب صاحبه معيناً ومسانداً ومؤيِّداً، وأبرز الأمثلة المحفوظة عندنا -نحن المسلمين- موقف السيِّدة خديجة رضي الله عنها مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عندما آذاه قومه وحرَموه وخاصَموه، أعطته عندما حرَمه النَّاس، وناصرته عندما عاداه النَّاس، ورزقه الله منها الولد، وكان صَلَّى الله عليه وسلَّم وفيّاً لها أيَّما وفاءٍ في حياتها وبعد الممات.

#### - النقطة الثالثة الأخيرة: الاستغاثة بالله، والتَّوبة والرُّجوع إليه:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ رِيحٍ شَدِيدَةٍ، كَانَ مَفْزَعُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ حَتَّى تَسْكُنَ الرِّيحُ، وَإِذَا حَدَّثَ فِي السَّمَاءِ حَدَثٌ مِنْ خُسُوفِ شَمْسٍ أَوْ قَمَرٍ، كَانَ مَفْزَعُهُ إِلَى الصَّلَاةِ حَتَّى تَنْجَلِيَ» [رواه ابن عساكر].

و«كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى» [رواه أبو داود].

وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ غُفِرَ لَهُ مَا مَضَى، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِيَ أَخَذَ بِمَا مَضَى وَبِمَا بَقِيَ» [رواه الطبراني].

عن عبد الله بن ساعدة رضي الله عنه قال: رأيت عمر رضي الله عنه عام الرَّمَادَةِ إِذَا صَلَّى الْمَغْرِبَ نادى: (أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيَّ، وَسَلُّوهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَاسْتَسْقُوا سَقِيَا رَحْمَةً لَا سَقِيَا عَذَابٍ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى فَرَّجَ اللَّهُ ذَلِكَ).

ولَمَّا أَجْمَعَ عُمَرُ أَنْ يَسْتَسْقِيَ؛ كَتَبَ إِلَى عَمَّالِهِ أَنْ يَخْرِجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَأَنْ يَتَضَرَّعُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَيَطْلُبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَرْفَعَ هَذَا الْمَحَلَّ عَنْهُمْ، وَخَرَجَ بِالنَّاسِ وَطَلَبَ إِلَى سَيِّدِنَا الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الدُّعَاءَ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ وَعَيْنَاهُ تَنْضَحَانِ: (اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْزِلُ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا يُكْشَفُ إِلَّا بِتَوْبَةٍ، وَقَدْ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ إِلَيْكَ لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ أَيْدِينَا مَبْسُوطَةٌ إِلَيْكَ بِالذُّنُوبِ، وَنَوَاصِينَا بِالتَّوْبَةِ، فَاسْقِنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الرَّاعِي لَا تَهْمِلُ الضَّالَّةَ، وَلَا تَدَعِ الْكَاسِيرَ بَدَارٍ مَضِيْعَةٍ، فَقَدْ ضَرَعَ الصَّغِيرُ، وَفَرَّقَ الْكَبِيرُ، وَارْتَفَعَتِ الشَّكْوَى، وَأَنْتَ تَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، اللَّهُمَّ أَغْثِهِمْ بَغْيَاثَكَ قَبْلَ أَنْ يَقْنُطُوا فَيَهْلِكُوا، فَإِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِكَ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ).

فسقى الله القوم وكشف العُمة وأزال الأزمة.

وكان عمر رضي الله عنه في أيام الأزمة -على ما يرويه ولده عبد الله-: لا يزال يصلي من الليل، حتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ اللَّيْلِ يَدْعُو مِنَ السَّحَرِ، فيقول: (اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَ هَلَاكَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ عَلَى يَدَيَّ، اللَّهُمَّ لَا تَهْلِكُنَا بِالسِّنِينَ، وَارْفَعْ عَنَّا الْبَلَاءَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَارْضَ عَنَّا).

**أيها الإخوة:**

إِنَّ لَجَأَ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَعَوْدَتِهِمْ إِلَيْهِ وَتَوْبَتِهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ بَيْنَ يَدَيْهِ، بَابٌ عَرِضٌ يَسْتَمْطَرُونَ بِهِ الْفَرَجَ الْقَرِيبَ وَالْغُوثَ الْعَجِيبَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ ضَاقَتْ بِالْمَرْءِ أَبْوَابُ الْأَرْضِ فَفَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ.

### أيها الإخوة:

هذه نقاطٌ ثلاثٌ في اقتصاد الأسرة في الأزمات سبقتُها في الخطبة الماضية ثلاثٌ فصارت ستاً:

- 1- التفكير بواقعية، دون تهويلٍ ولا تهوين.
  - 2- تعاون أفراد الأسرة في مواجهة الأزمة وعدم الاستسلام لها.
  - 3- تجنب المحاسبة الماليّة الشديدة بين الزوجين.
  - 4- التحري عن أسباب سعة الرِّزق.
  - 5- استبعاد الحلول السِّلبيّة من دائرة الحلول.
  - 6- الاستغاثة بالله، والتَّوبة والرُّجوع إليه.
- اللَّهُمَّ وسِّعْ لنا أرزاقنا، واجعل فيها بركة سيّدنا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، واجعل مع البركة بركةً واجعل مع البركة بركتين.

والحمد لله رب العالمين